بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣].

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ﴾ وظنَّ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ المنهمكون في الغفلة والنسيان، وتركِ الشريعة والسنَّة النبويَّة عليه الصلاة والسلام، وتركِ الأعمال الصالحة ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ ويُهمَلوا على ما هم عليه من عدم مطابقة قلوبهم لأفواههم، وأعمالهم بنياتهم، وأفعالهم بحالاتهم، بمجرد ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بلا موافقةٍ من قلوبهم، مع أنَّ الإيمان في الأصل هو الإذعان والقبول والإخلاص بالقلب؛ والانقيادُ والتسليم بالجوارح والآلات من لوازمه ومتمِّماته ﴿وَهُمْ﴾ بمجرَّد ما يُلَقْلِقُ به لسانُهم، ويُظهره بيانهم، ظنُّوا أنهم ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾ ولا يُمتَحَنون! بلى والله لنبلونَّهم ونختبرنَّهم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، حتى ظهر إخلاصهم في جميع ما آمنوا، فترتَّب خلاصهم حينئذ على إخلاصهم.

﴿وَ﴾ ليس افتتاننا واختبارنا إياهم ببِدْعٍ منا، بل ﴿لَقَدْ فَتَنَّا﴾ ابتلينا وامتحنا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مضوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم السالفة، مع أنهم يدَّعون الإيمان ويتفوَّهون ويتقوَّهون به أمثالَهم، ومع ذلك لم نتركهم بلا ابتلاء واختبار، وليس اختبارهم وامتحانهم إلا لإظهار حُجَّتنا البالغة عليهم، وإلا ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ المطَّلعُ على ضمائر عباده وسرائرهم ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ منهم وأخلصوا في إيمانهم، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أيضاً منهم، وهم الذين لا يُخلصون مع الله في حالٍ من الأحوال، وعمل من الأعمال، «فهم كما أسلفنا لا يطبِّقون الشريعة ولا السنَّة النبويَّة» ولا يسمعون أوامر الله ونواهيه «ولا حِلَّه ولا حرامه من ألسنة رسله سمعَ قبول ورضا، وإنما

أرادوا بإيمانهم الظاهر، الذي أتوا به على سبيل الكراهة، إسقاطَ لوازم الكفر من حقن الدماء وسلب الذراري ونهب الأموال «حتى لا يقولوا: هذا مؤمن وهذا كافر»، وإلا فهم ليسوا ممن يذعنون بدلائل التوحيد وبراهين الإيمان عن صميم قلوبهم، ظنّاً منهم أنَّا غافلون عن بواطنهم ونيَّاتهم «حاشا وهو جلَّ وعلا عالم بما في الصدور والخفايا».

علينا جميعاً أن نعلم ونعمل بمقتضى الإيمان، مقتضى الإيمان التمسُّك بشرعِ الرحمن، وسنَّةِ نبيِّ الرحمة عليه الصلاة والسلام، نرجو الله تعالى جلَّ جلاله أن يجعلنا من المعتبرين، ومن أولي الأبصار.

إن الأبرار إنما يتميَّزون عن الأشرار بالاعتبار والاستفسار، ليس للمؤمن أن يجتهد بعقله أو بعلمه خلافَ الشريعة والسنَّة، بصَّرنا الله بعيوب نفوسنا، وجعلنا من المُعتبرين بعيوب الغير عند وجودها؛ والكلام الكثير بدون عمل يكون علينا لا لنا.

اللهمَّ زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهِنَّا، وآثرنا ولا تؤثر علينا.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله ربِّ العالمين.

هذا ما أملاه عليَّ العارف بالله المربِّي الإمام، سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي، شيخ الطريقة القادرية الشاذلية الدرقاوية، حفظه الله تعالى ونفعنا به، آمين.

يوم الأحد بعد العصر

١٠/جمادى الأولى/ ١٤٣٣ هـ

الموافق: ١ / نيسان / ٢٠١٢م

** ** **